إبراهيم (ع) يتلطُّف في دعوة أبيه/ ج(2)



كان آزَرُ يعبد الأصنام، بل كان ممّن ينحتها ويبيع ُها؛ وهو أقرب ُ الناس إليه وألصق ُهم به، وأولاهم بالهداية، وأجدر ُهم بإخلاص النصيحة؛ فمن البرّ به أن يهدي َه سواء السبيل، ثمّ هو أيضا ً من المسوّين خلقها والناحتين لها، والداعين إلى عبادتها، إنّه لذلك داعية ُ إثم، ومبعث فتنة، فهدايته قُربي إلى ا□، واستئصال ُ لبذور الشر، واجتثاث ٌ لجذور الضلال.

لم يبدأ الدعوة مع أبيه بتسفيه معبوداته، أو تحقيرآلهته، لئلا ينفر منه، أو يُصِمِّ آذانه عنه أو يرميَه بالقول اللين، والأدب الجميل، يرميَه بالعقوق والجحود، بل رتِّبَ الكلام معه على أحسن اتساق، وخاطبه بالقول اللين، والأدب الجميل، وابتدأ حديثه معه بذكر بنو ّته، ليستثير عطفه ويمسِّ شيغاف قلبه، ثمِّ سأله عمَّا يدعوه إلى ركونه إلى الأصنام، وعكوفه على عبادتها، مع أنَّها لا تسمع دعاءه وثناءه، ولا تبصر خ َضوء َه وخشوعه، ولا تُستدَدفع في بلاء فتدفعه، أو ت ُست َمنح ُ شيئا ً فتمنحه.

وخاف أن ينصرف عنه استصغارا ً لشأنه، وامتهانا ً لرأيه، فقال: يا أبت ِ، إنّه قد جاءني من العلم ما ليس لك، وأوتيت ُ حظا ً من المعرفة لم ت ُؤت َه ُ، فلا تستنكف أن تتابعني، ولا تتخلّف عن مسايرتي، وإن كنت ُ لا أبلغ شأوك، أو اشارف سنّك. ثمّ توسّ َل إليه أن يتبع خطواته، ويسير َ على ه َديه، فذلك هو الصراط المستقيم، والطريق القويم. ثم "أراد أن يُزَه "ِدَ في أوثانه، ويَنأى به عن عبادة أصنامه، فأبان له أنه بالعكوف عليها، والإنقياد لها يعبد ُ الشيطان، ويلتجئ إلى ساحته، وهو الذي عصى الرحمن، وتوع ّد الناس بالإغواء، فهو عدو " ُ لا يُرشِد إلى خير، ولا يبغي إلا الهلاك والشر. ثم ّ خو ّفه سوء العاقبة وشر ّ المصير، ولكنه لم يصرح بأن ّ العذاب لاحقه، والعقاب م ُح ِيق به، بر "ا ً به، وتأد ّ 'با ً معه، واستعطافا ً له.

فلم"ا عرض هذا الرشد عليه، وأهدى هذه النصيحة إليه أبَى آزر ُ متابعة رأيه، وأصر ّ على بـُنـُو ّته، وأنكر َ حـَد َبـَه عليه وشفقته به، وتجه ّم له، وقال محتقرا ً شأنه، مـُتعج ّبا ً من جرأته، منكرا ً عليه نصيحت َه: أراغ ِب ُ أنت عن آلهتي يا إبراهيم! لئن لم تـَنت َه ِ عن زيغ ِك، وترجع عن غي ّك، وت َثـُب إلى رشدك لأرجمن ّ َك َ بالحجارة، ولأرمين " َك َ به ُجر القول، فاحذر س ّ ور َة غضبي، وتجن "ب إثارة سخطي، واهجرني ملي اً ، فليس لك في داري مكان، ولن تجد في قلبي أثارة من عطف، أو بقية من إحسان.

قابل إبراهيم تهديد آزر بصدرٍ رحب، وتلقَّى وعيد َه بنفس مطمئنة، ثمَّ أجابه بما يُنبئ عن بـِر ّ َه به، وإخلاص ِه النصح َ له، وقال: (سلام عليكم سأستغفر لك ربّ ِي إنّ َه كان بي حفيا ً. وأعتزلكم وما تدعون من دون ا□ وأدعو ربّ ِي عسى ألاّ أكون بدعاء ربّ ِي شقيا ً) (مريم/48-47).

وود "عه وانصرف، وهو كاسرف البال، محزون الفؤاد، لأن " دعوته لم تجد آذانا ً مُصغرِيَة ً عند أبيه، واعتزله لئلا يكون مُظاهرِراً له على الكفر، ومشايعا ً في الشّرِك.

يتبع...

المصدر: كتاب قصص القرآن